رد على نقد : حول "معرض الفنانين الثالث"

دع المركب تسير ...

بقلم سليمان منصور

اقيم في نادي الخريجين في القدس بتاريخ ٢١-٤-٧٨ معرض الفنانين الفلسطينيين الثالث حيث يستقبل هذا المعرض الى معظم المناطق الرئيسية في البلاد. وقد تميز هذا المعرض الى حد ما بمعالجته مواضيع انية عديدة كان لها تأثير على مسيرة شعبنا كزيارة السادات، والحرب في الجنوب اللبناني، وبعض الاحداث الاخيرة التي تمثل صراع شعبنا بصوره المختلفة. وقد تميز كذلك بإهتمام عدد من الفنانين ببعض تراثنا العربي الفلسطيني، كالخط العربي والتطريز الفلسطيني. وكان للمعرض كأي نشاط ثقافي نقاط ضعف ونقاط قوة. وقد كتب السيد كريم دباح في جريدة الطليعة العدد الماضي مقالا ابرز به بعض السمات المميزة للمعرض حسب رأيه. و انني اذ اشكر الطليعة على اتاحتها الفرصة لي للرد على مقال السيد دباح، اود ان ابدأ بالجوانب الهامة التي اعتقد انه اخطأ او لم يتعمق في تحليلها، او تعمد تهميشها، واول هذه الامور، قضية التطريز الفلسطيني، حيث انه اعتقد ان وضع بعض العناصر المأخوذة من التطريز في منظر طبيعي "حشر بمناسبة او بدون مناسبة". لقد خفي على كاتب المقال ان معظم تشكيلات التطريز الفلسطيني هي عبارة عن عناصر مبسطة لاشياء موجودة في الطبيعة، كالنجوم والقمر والسنابل والاعشاب والاشجار والزهور والطيور الدوالي والعنب وقد قام اسلافنا بتحويرها الى اشكال هندسية، ليسهل تطريزها فكانت النتيجة قمة في التبسيط والجمال. وقد حاول بعض الفنانين الاستفادة من هذه العناصر وخاصة في لوحات تمثل ريفنا الفلسطيني ويظهر هذا بصورة واضحة في لوحة لنبيل عناني اسمها "كان لنا بيارة" حيث رسم عناصر تمثل العشب في التطريز، بدلا من ان يرسم العشب كما هو، ليضفي روحا شعبية اصيلة على لوحاته. انها في رأيي محاولة جادة للاستفادة من تراثنا بالرغم من انها في بداية الطريق وتحتاج بالطبع الى الدراسة العميقة بالاضافة الى الاهتمام والتشجيع.

اما بخصوص الخط العربي فمن يدرس الفن العربي قديما وحديثا يجد الكثير من المحاولات لوضعه في اللوحة كعنصر زخرفي يضفي روحا اصيلة على اللوحة بالاضافة الى كونه موصل لفكرة معينة فيما لو قرئ وبالطبع كأي عنصر جمالي يضعه الفنان في لوحته، فانه يجب ان يتوخى الحذر في استعماله، والحكم على نجاح هذه المحاولة يكون في مدى نجاح الفنان في اقناع المشاهد كعنصر غريب عن اللوحة، وقد نجح نبيل عناني في، رأيي، بمحاولته هذه وخاصة في لوحة (صور صامدة) ومرة اخرى فان وضع الخط العربي كما هي الحالة في التطريز، هي محاولة تستحق الاهتمام والتشجيع والنقد الهادف، وليس توجيه الضربة القاضية بجملة "حشر بمناسبة وبدون مناسبة" فقط.

يستعمل السيد دباح في هذا المقال وفي مقالاته السابقة تعبير اسلوب "المريالليين" وهنا يخطيء خطأ فنيا فاحشا لعدة اسباب اهمها: ان المريالية توجه فكري، ومذهب فني في الرسم والكتابة وليست اسلوبا. حيث نلاحظ ان الفنانين المرياليين يستعملون كافة الاساليب الفنية لخلق اعمالهم، وكمثال على هذا فاننا نلاحظ ان بعض الفنانين المرياليين يستعملون اسلوب البعد الواحد كفكتور براونر وجان ميرو وبعضهم اسلوب الانطباعيين كبعض اعمال ماكس ارنست واسلوب الوحشيين، مثل اوسكار دومنقويز والتعبيريين مثل باسكين والاسلوب الكلاسيكي، مثل سلفادور دالي. والظاهر ان كاتب المقال لم يتطلع الا على اعمال سلفادور دالي ومن هنا حصلت عنده القناعة بان للمريالليين اسلوب واحد وهو الكلاسيكي. واذا اخذنا برأي صاحب المقال، فان فناني عصر النهضة، مثل بوتتشللي، ودافنشي، كلهم استعملوا اسلوب المريالليين علما بانهم عاشوا قبل خلق المريالية بمئات السنين.

اما بخصوص الوجوه الفلسطينية، فيظهر ان كاتب المقال يصر على ان كل وجه جميل ليس فلسطينيا، بل هو مأخوذ عن سائحة. ان توضيح الامر يحتاج فقط الى مشوار في احد شوارع رام الله ونابلس او الخليل، لتشاهد فتيات جميلات وقبيحات ووسط سمراوات وشقراوات وبين وبين على وجوههن سمات الشقاء، التعب، الامل، والفرح وكلها وجوه فلسطينية والفنان حر ان يختار الوجه الذي يؤثر فيه.

ونلاحظ في المقال، ان كاتبه دائما يكرر كلمة (تكرار)، ويطالب الفنانين بالتغيير. نراه مرة يطالب كامل المغني بتغيير اسلوب الفريسك وينتقل الى الالوان الزيتية، اي انه يعتقد ان الالوان الزيتية افضل واسمى من الفريسك. وهذا في رأيي تحيز لا مبرر له، علما بانه لم يطالب، ولو لمرة واحدة، الفنان الكبير جمال السجيني بتغيير اسلوبه وخاصة الطرق على النحاس الى الالوان الزيتية. هذا من ناحية الشكل، اما المضمون، وبالرغم من انني لا ارى تكرارا في الموضوع، فانني اود ان الفت انتباه الاخ كريم الى عشرات اللوحات التي عملها فنان كوخ لعباد الشمس وهي تتشابه في الشكل والموضوع وعشرات غيرها، للحصاد وديجا، الذي قضى معظم حياته الفنية في رسم راقصات الباليه، ومونيه الذي كان يرسم نفس المنظر عشرات المرات ولكن في اوقات مختلفة من النهار وغيرهم عشرات الفنانين الذين رسموا الموضوع نفسه عشرات بل مئات المرات، وكل اعمالهم نقدت من قبل النقاد في الشرق والغرب، من اروع اللوحات الفنية، ولكن اذا اخذنا بكلام كاتب المقال، فان معظم ما في كتب تاريخ الفن هو عبارة عن تكرار.

ويحاول كريم دباح، في مكان اخر من مقاله، ان يبرز استمرار الفنان كامل المغني في، منهجه في الرسم فيقول انه يعمل للماجستير في التربية. وهنا لي مأخذين على هذا المنهج. اولهما ان التبرير في النقد امر يدل على ضعف وخوف في الناقد، وثانيا انه لو تفضل كاتب المقال، وسأل الفنانين المشاركين في المعرض لوجد ان لكل منهم ظروفه الخاصة التي لا تقل اهمية بالنسبه له عن ظروف كامل.

وبالنسبة لسميرة بدران، فان من يرى اعمالها لا بد له ان يشارك السيد كريم بالطلب منها بالتوجه نحو اسلوب اكثر واقعية، ويعالج مشاكل الناس وقضاياهم، الا انني اعتقد ان النصح من على صفحات الجرائد لا يفيد بشيء حتى يقنع الفنان بقراره نفسه من الموضوع بالممارسة العملية والخبرة والا فان اعماله ستكون غير مقنعة ومزيفة.

اما بخصوص النقد الذي وجه الى عصام بدر وخاصة تصرفاته الشخصية، فهذا في رأيي امر يزيد من فرقة الفنانين علما بان التهجمات الشخصية من على صفحات المجلات والصحف كانت من اهم العوامل التي ادت الى هذه الفرقة.

ان اسلوب عصام بدر يعتمد على الصدق، والتفاعل المباشر مع الحدث، ومن ثم التعبير عنه باللون والخط، والحركة، ويوجد نواحي جمالية ولونية في اعماله، وخاصة لوحة تاركة الفنجان، ولكن بعده عن الاسلوب الواقعي يجعله بعيدا الى حد ما عن الجمهور.

لقد كان عدد المشاركين اقل من السنين الماضية، وهذا يعود لسفر بعض الفنانين للخارج، اما للعمل او الاقامة، مثل بشير السنوار ومنى هاشم. وقد ارسلنا الى فناني قطاع غزة نعلمهم بالمعرض ونطلب مشاركتهم، ولكن لم يصل شيء من اعمالهم. ومن الواضح ان الفنانين، هناك، لم ينظموا انفسهم بعد، ولم يتغلبوا على مشكلة من هو هاو ومن هو محترف، اي التفريق بين العمل الجيد والعمل الضعيف، هذه المشكلة التي اعتقد ان فناني الضفة قد تغلبوا عليها، وهذا يفسر قلة عددهم هذه المرة. وكنا قد ارسلنا الى فناني عرب اسرائيل دعوة للمشاركة في المعرض مع وعد من امناء صندوق كردوش ولكن لم يصلنا اي شيء من اعمالهم ونحن نتطلع في المستقبل الى العمل والعرض كمجموعة واحدة فنحن بالرغم من كل الظروف شعب واحد.

واخيرا ادعو الفنانين الى الوحدة في جميع مناطق ارضنا المحتلة.

الأدب المغربي

بين الوعي الواقعي وتحليل الواقع

انطلاقا من حرصنا على ضرورة ربط الثقافة المحلية، بالحركة الثقافية العربية والعالمية، تجسيدا لايماننا بوحدة الحركة الفكرية العالمية التقدمية وضرورة فعل حركتنا المحلية وتفاعلها مع الحركة العالمية، انطلاقا من وعينا لهذه المقولة، سنحاول هنا التعرف على الادب المغربي من خلال مقالة للكاتب التقدمي المغربي بلحديوي الميلودي، نشرت في صحيفة البيان المغربية، لعلها تعطينا تصورا لحقيقة واقع الادب المغربي، ولثقتنا بأن وحدة الحركة الفكرية التقدمية كل لا يتجزأ، وان الطريق للوصول الى خلق ادب واقعي، تمر عبر مراحل متتالية، وان تفاوتت المراحل من بلد لاخر.

ان المجتمع الذي هو موضوع الدراسة اليوم ما زال مقفلا، يبدو من الخارج، اي السطح اكثر للكولورية ويحمل في احشائه سورا "ماساوية" عديدة لا بد من تعزيلها واظهار مدلولاتها الحقيقية. ولهذا الغرض يوضح الطاهر بن جلون ماهية الشعر المغربي في استجواب له مع "لاماليف" قائلا: لابد من تفجير الواقع. لذا تطرح قضية التعمق في الصراع الموجود داخل المجتمع.... غير ان الوصول الى هذا العمق الكثيف يتطلب من الاديب ان يكون منغمسا وراعيا بالتناقضات الكامنة في هذا المجتمع، وصادقا مع نفسه ومع واقعه المعاش.

والوعي وحده لا يكفي لايقاظ المسير ونشر الحقائق الى القراء، بل يجب التطلي بعملية "تحليل الوعي" قصد العثور على كل ما يسبب ازدهار الوعي المغلوط والتفكير الفاشي المتجمد. وبالتالي فان الاديب المغربي المتطلع الذي يفكر الى "هذا النوع من التحليل - تحليل الوعي - يعتبر عضوا مساهما في تعقيد الحقائق وتشويش مسيرة الفكر التقدمي وتزوير الواقع وهكذا فالاعتماد على الصور "الديكورية" والتحلي بالتأمل والنظرة "الثنوية" و "المتلونة" والانغماس في كتابة لاحداث لا صلة لها بحركة التاريخ المتحرك، يكون هذا بلا شك نتيجة تمزق نفسية الاديب واغترابه وتفوقعه في عالم التجريد والكذب الرومانسي.

انه تعبير عن تفكير مجرد صامت في عمق حقائق الصراع يذرف دموعه في سطح فلكلور الحدث المدروس.

وهذا ما نسميه عادة "بلعبة المرايا" ان الصورة في المرايا تمثل نوعا من الخداع والتزييف لانها لا تعكس الصورة على حقيقتها.

في نقد الرواية المغربية ولا شكلية الاجتماعية يقول البشير الولدنوني في مجلة "اقلام" عدد ٨ تاريخ ٨ ديسمبر ١٩٧٤: "الرواية المغربية ستظل ذلك الشكل الادبي الرئيسي لعالم ليس فيه الانسان في بيته، وليس غريبا تماما" الامل بلا مستقبل، شكل الحضور "شكل الغربة في الجماعة، شكل في الغياب"؟

والادب المغربي رغم غيابه عن التعميق الواقعي يبقى فعلا تصويرا فوتوغرافيا مجردا عن عمق الصراع تعبيرا صامتا يتجلى فيه الديكور الذي يغطي الحدث. وهذا ما نسميه عادة "بلعبة المرايا" فالصورة التي تظهر على المرايا المكشوفة لا تمثل الحقيقة نفسها وكما هي، بل هي تزييف دقيق لهذه الحقيقة. انها تمثل نوعا من الخداع والتشويش في عين الانسان الموضوعي. وبقدر ما يبتعد الادب عن مشاكل الناس ومشاكلهم اليومية يبقى الزمن المعدوم هو الارضية الصالحة لكتابة الفراغ وترصيد صنم الادب البرجوازي امام الانسان البسيط المعدم.

وليس من الحرج ان نقول ان هذا النوع من الادب الذي يعبر مباشرة عن الام الذات الحزينة ومطامح اصحاب المصلحة الحقيقية، انه شبح ومثل لا تحركها الا نوابض خفية منسلخة عن المعقول والمحسوس.

واكيد اذن ان الاديب المغربي الذي لم يلتزم بقضايا مجتمعه ومستقبل الجيل الصاعد ومصير الامة العربية فسيبقى انتاجه الادبي في حالة "نفرد" اننا اليوم نلح في التشديد على ضرورة التحليل والتعمق حتى يسقط قناع تجسيد وعي ذاتي نقدي يدفع الى الادب المغلوط تاريخيا.

والاديب عليه ان يميز بين العالم الحقيقي ذي الحقائق الموضوعية. وبين المقومات الذاتية التي توجد لدى الافراد عن الحقيقة التي تواجههم. وادراك هذا العالم لا يتأتى الا بمعونة الجهاز العقلي اليقظ. وعلى هذا الاساس يمكن للاديب المتطلع ان يتعرف جيدا على مطامح المجتمع العربي عموما مدافعا عنه ومناضلا من اجل استقراره وسعادته. كما يؤكد "غوركي" في الفن الواقعي الاشتراكي "الفن كفاح مع او ضد" لا يوجد ادب محايد - لان الادب ليس الة فوتوغرافية، انه يصور فعلا الحقيقة، ولكنه في نفس الوقت يثبتها بعد تغييرها وازالة الغلط فيها.

انه من العبث اذن ان نعزل الادب عن ظروفه الاجتماعية والسياسية. انه حصيلة تأثيرات ومؤثرات خارجة موضوعة في مجتمعه المتحرك - والحل المتطلع لم يهمل ابدا التطرق الى مشاكل هذا المجتمع - بل هناك عزيمة قوية في اتجاه اتجاه ادبي قوي يعكس صور الواقع بطريقة فنية ومرضوعية.

"عرق العمال"

الاخ نبيل الجولاني. بعث الينا بقصيدة بعنوان "عرق العمال دما" تفيض بالمشاعر الرقيقة تجاه الطبقة العاملة ونضالها من اجل الحصول على حقوقها كاملة، ونحن هنا نؤكد للاخ نبيل تحياتنا وحبذا لو اننا تمكنا من نشرها، ونرجوه المعذرة، ونرحب به دائما.

حفل كبير للتراث الشعبي تنظمه جمعية انعاش الاسرة

اقامت جمعية انعاش الاسرة حفلا كبيرا للتراث الشعبي الفلسطيني. وقد حضر الحفل جمهور غفير من المواطنين والمواطنات من مختلف انحاء الضفة الغربية.

وقد اشتمل الحفل على مشاهد حية للنشاطات التقليدية في البيت الريفي، ولعادات الضيافة، ولحفلة عرس تقليدية في قرية فلسطينية في الماضي.

وكانت السيدة سميحة خليل، رئيسة الجمعية، قد افتتحت الاحتفال بكلمة نوهت فيها باهمية التراث. واكدت على ضرورة احيائه وتدوينه وحفظ كل ما هو ايجابي فيه.

وقد تخلل مشاهد الحفل واحاسة العرس اغان شعبية هادئة ومشاركة واسعة من المدعوين للحفل.

ولا شك ان ضخامة الحفل وتعدد المشاهد يدلان على العهد الكبير المشكور الذي بذل في تنظيمه واعداده بالشكل الذي خرج به، وهاز على رضى واعجاب المدعوين.